في العـام ١٩٣٩، عقـد مؤتمر المائدة المستديرة في لندن، وتراجعت العمليات القتالية بسبب التفوق الكبير في العدد وقوة النيران لدى الجانب البريطاني ـ الصهيوني، وبسبب الحصار الذي كانت تعاني منه فلسطين بكاملها، فلم تكن لديها نافذة (او نافذة حقيقية) الى الخارج تستطيع ان تعزز امكاناتها من خلالها، وبسبب ازدياد معدلات خسائر الثوار في الرجال والاسلحة، ومن ذلك استشهاد بعض القياديين.

ثمة نقطة هامة، هي انه اذا استعرض المرء ارقام الهجرة اليهودية الى فلسطين حتى ما قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية في العام ١٩٣٩، نجد ان سنين الثورة تميزت بأرقام الهجرة المرتفعة، الأمر الذي يكشف نوعاً من الخلل السياسي، اذ ثمة ثغرة كبيرة بين التضحيات النضـاليـة الكبـيرة للجماهير وبين هدف النضال الأساسي المفترض ان يكون، وهو عرقلة الاستيطان الصهيوني، اي عرقلة الهجرة.

كانت ارقام الهجرة اليهودية الرئيسة قبل الحرب العالمية الثانية على النحو التالي:

الهجرة الاولى (١٨٨٢ ـ ١٩٠٣) ٢٥ الف يهودي؛ الهجرة الثانية (١٩٠٤ ـ ١٩١٨) ٤٠ الفاً؛ الهجرة الثالثة (١٩١٩ ـ ١٩٢٣) ٣٥ الفاً منهم ٨٢٢٣ في العام ١٩٢٠ و٨٢٩٤ في العام ١٩٢١ و٨٦٨٥ في العام ١٩٢٢ مقابل ١٨٠٦ في العام ١٩١٩؛ الهجرة الرابعة (١٩٢٤ ـ ١٩٣٢) ٨٩ الفاً؛ الهجرة الخامسة (١٩٣٣ ـ ١٩٣٩) ٢١٥ الفاً.

٩

في مطلع الثلاثينات، كان ثمة فكر مطروح لو اخذ ابعاده الجماهيرية لتغير تاريخ المنطقة، ولربما تاريخ جزء كبير من العالم. لنقرأ الفقرات التالية من تقرير طويل كتب في العام ١٩٣١:

«١ ـ ان واجباً من اهم واجبات الكفاح الثوري التحرري المناهض للامبريالية في منطقة الشرق الادنى الواسعـة هو حل قضية العرب القومية. ان جماهير الشعب في كل الاقطار العربية ترزح تحت نير الامبريالية. كل الاقطار العربية محرومة، بشكل او بآخر والى درجة او اخـرى، من الاستقـلال السيـاسي. ففلسـطين وشرق الاردن والعـراق موضوعة تحت الانتداب، وهي خاضعة، كلياً، لسيطرة الامبريالية البريطانية؛ وسوريا يحكمها الامبرياليون الفرنسيون؛ ومصر تحت نير السيطرة البريطانية؛ و«استقلال» هذه البلاد، الذي اعلن عنه في العـام ١٩٢١، هو شبه للاستقلال الحقيقي، نظراً لأن اهم المواقع المفصلية هي في ايدي الامبرياليين البريطانيين. وبالاضافة الى ذلك، فان البريطانيين يفرضون حكمهم الدكتاتوري على السودان؛ وطرابلس مستعمرة للامبرياليين الايطاليين؛ والحكم الفرنسي يسيطر على تونس والجزائر. اما مراكش، فهي موزعة بين الامبرياليين الفرنسيين والاسبان. واما اليمن والحجاز ونجـد، فعلى الرغم من انها ليست خاضعة خضوعاً مباشراً للسيطرة الامبريالية، الا انها محرومة من مقومات وجود مستقل، وهي مطوقة من قبل مستعمرات الامبرياليين ومرغمة على الخضوع لأوامر الامبريالية...

«٢ ـ ان الشيء العام والحاسم بالنسبة لكل البلدان العربية، فضلاً عن كون الامبرياليين يحتلون المواقع السياسية المفصلية، هو ان الرأسمال الاجنبي والمال يمسكان بكل المواقع المفصلية الحاسمة. فاضخم المصارف والمصانع وسكك الحديد والموانىء والملاحة والمناجم واهم شبكات الري والمواقع المفصلية في التجارة الخارجية وسلطة اصدار النقد في الدولة،